

## في مفهوم الهوية الكوكبية والإنسان المركب عند إدغار موران

*In the concept of planetary identity and the complex human being at Edgar Moran*

سعودي كحول

جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، kahoul.saoudi@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2024/04/24

تاريخ القبول: 2024/03/30

تاريخ الاستلام: 2023/10/26

ملخص: نروم في هذه الورقة البحثية التركيز على الهوية كموضوع من أهم موضوعات الفلسفة الراهنة، للفيلسوف الفرنسي المعاصر إدغار موران الذي قام بتقويض وتفكيك دعائم الفلسفات التقليدية المثالية والطبيعية معا حول عديد القضايا الفلسفية ومن أبرزها إشكالية الهوية، وانطلاقا من مبادئ فلسفته القائمة أساسا على روح التركيب ورفض كل اختزال وتبسيط، فإنه لا يرى في الهوية إلا الشمولية التي تقوم على وحدة الإنسانية ووحدة العقل والتكامل المعرفي أيضا، رغم التعدد الثقافي السائد وتنوعه في الواقع. لذا يدعو إلى العمل على اكتمال الوحدة الكوكبية في إطار التعددية، لاسيما وأن الإنسان واحد رغم الاختلاف الإثني بين البشر، والأرض واحدة رغم شساعة المساحات الجغرافية. إنه الكوكب الواحد والمصير الأرضي الواحد يؤكد موران.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الكوكبية، الوحدة المتعددة، الانفتاح، التركيب.

**Abstract:**In this paper, we aim to focus on identity as one of the most important topics of the current philosophy of the contemporary French philosopher Edgar Morin, who undermined and dismantled the foundations of traditional idealistic and natural philosophies together on many philosophical issues, the most prominent of which is the problem of identity, and based on the principles of his philosophy based mainly on the spirit of synthesis and the rejection of all reduction and simplification He does not see in identity anything but totalitarianism that is based on the unity of humanity, the unity of the mind and cognitive integration, despite the prevailing cultural pluralism in reality. Therefore, it calls for action to complete global unity within the framework of pluralism. Man is one despite the difference between people, and the earth is one despite the vastness of the geographical areas. It is the one planet and the one destiny Moran asserts.

Keywords: identity, planetary, multiple unity, openness, complexity.

\*المؤلف المرسل

## 1. مقدمة:

تعتبر الهوية من الموضوعات المهمة في الفلسفة، والتي أولتها المدارس الفلسفية اهتماما كبيرا لما لها من صلة وثيقة بالإنسان ووجوده. أما عن تعريف الهوية في السياق الفلسفي، فإننا نجد أن الاهتمام به يرجع تاريخيا إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وتحديدًا عندما تناوله فلاسفة يونانيون، وبشكل خاص سقراط وأفلاطون وأرسطو، ومحاولين الإجابة عن عدد من الأسئلة ذات صلة وثيقة بالموضوع، والتي حاولوا من خلالها فهم أصل وجود الإنسان، ومن هذه الأسئلة: "من أنا؟" "من نحن؟" "من نكون؟" فالهوية إذن، موضوع فلسفي بالأصالة على حد قول حسن حنفي. إذ عالجه الفلاسفة المثاليون والواقعيون على حد سواء، بداية من الفلسفات القديمة إلى الفلسفات الراهنة. وقد أثارت المسألة جدلا فلسفيا حادا حول ماهيتها وطبيعتها وعناصر تشكيلها، فهناك من ربطها بالفرد والشخص انطلاقا من المبدأ الأرسطي القائل: كل ما هو هو، وهناك من أرجعها إلى سياقها التاريخي والاجتماعي، حيث تظهر الهوية على أنها تتغذى بالتاريخ لتشكل بعدها استجابة مرنة متحولة مع تحول الأوضاع التاريخية والاجتماعية، ومن هنا يرون بأنها نسبية متغيرة مع حركة التاريخ والانعطافات التي يتعرض لها. في حين هناك من اعطاها بعدا إنسانيا كونيا خالصا على غرار ما قدمه ادغار موران في مشروعه الحضاري الكوكبي.

وبين الانغلاق على الخصوصية والانفتاح على الكونية واستشراف المستقبل حاول ادغار موران ومن نعى نحوه الارتقاء بها إلى الماهية الإنسانية في صورتها الشاملة. ومنه فالإشكال المطروح هو: هل بإمكاننا تصور هوية إنسانية كوكبية نصعد فيها من هوية فردية وجماعية إلى هوية أرضية حاملة لكل المعاني والقيم الإنسانية؟.

## 2. مفهوم الهوية وعناصرها عند إدغار موران:

يصعب في الواقع تحديد مفهوم جاهز ودقيق أو جامع ومانع للهوية، رغم المحاولات المتكررة والمتعددة منذ القدم أين فصل فيه أرسطو من الناحية المنطقية جاعلا منه المبدأ الأساسي للعقل السليم. لكن ومع مرور الوقت شهد اهتماما منقطع النظير من الفلاسفة وخاصة في عصرنا، بل وامتد الاهتمام بهذا المفهوم إلى الكثير من العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا وغيرها. لذلك فمفهوم الهوية وبسبب انتشاره الواضح فإنه سيظل غامضا ولا يمكن الكشف عن كنهه لأنه فضفاض جدا.

وعلى العموم فإن الهوية ذات بعدين أحدهما فردي والآخر اجتماعي، فهناك هوية الفرد المتميز، وهناك هويته التي يشترك فيها مع الجماعة التي ينتمي إليها وقد تشمل الجماعة كل الإنسانية مثلما أراها إدغار موران.

ينطلق إدغار موران في تصوره لمفهوم الهوية الكوكبية من نموذجه المعروف حول ابستيمولوجيا أو براديجم التركيب، والذي يتلخص محتواه في كونه تصورا يقدم نفسه كصرح للعديد من الطوابق، المستقلة عن بعضها، والمتكاملة في الآن عينه، وهو مجرد مثال يعبر عن الترابط الكامل بين جميع الظواهر وبين العلوم المختلفة. فيؤكد بأن التمثلات الكلاسيكية للإنسان قد أدت إلى تجزيته وتقسيمه فحرمته من الثراء المتعدد الأبعاد الذي يميزه، بمعنى التكامل الأصيل بين جوانبه البيولوجية والسيكولوجية والسوسيولوجية. لذلك علينا الآن أن نبحث عن إعادة الربط بين كل ما اختزلته وجزأته العلوم الإنسانية الكلاسيكية. وهو مشروع كبير يحمل كل المعارف السائدة يستدعي وضع ضروب جديدة من التفكير من أجل التأصيل للتكامل المعرفي العام. ويحاول إدغار موران أن يعطي للإنسان حياة وجسدا، وذلك بوضعه من جديد في مركز رواية العالم الكبرى. من الضروري إذن إثراء الإنسان وإغنائه بجميع تناقضاته، وعلى العقل أن يكون حواريا جاعلا من التناقضات عائمة، أي متكاملة ومتصارعة معا. ذلك هو الدرس الذي كان يعلمه هيرقليطس قديما حين أكد أنه يتعين أن نحيا موتا، وأن نموت حياة، فالإنسان يؤكد موران: "ليس عاقلا فقط، وليس صانعا أو اقتصاديا فحسب، فهي تصورات اختزالية تفكيكية تضع الإنسان في مجال منفصل، ومنعزل عن الكل. إن الإنسان الذي سيكون محكوما عليه بالسيطرة على كوكب الأرض محكوم عليه توفير إمكانيات أن نصبح سادة الطبيعة ومالكها. إنها نزعة إنسانية ذات بعد كوكبي، تحمل وعيا بأن الأرض هي الوطن، إنه مصيرنا المشترك سواء في الأصل أو الفناء أو الضياع"<sup>1</sup>. فلا ينبغي اختزال الكائن الإنساني في عنصر دون آخر، وهو المبدأ الذي تقوم عليه فلسفة موران واپستيمولوجيته التركيبية الداعية نحو التكامل قصد تحقيق الهوية الإنسانية الكوكبية.

حول هذا الموضوع يقول الفلاسفة بوجود عناصر كثيرة تشكل الهوية بمختلف أبعادها، تتمثل في العناصر التاريخية المتضمنة للأصول التاريخية كالأبطال والزعماء. والأحداث التاريخية الهامة المتمثلة في المراحل الهامة في التطور، التحولات الأساسية، الآثار الفارقة، التربية والتنشئة الاجتماعية، والآثار التاريخية كالعقائد والعادات والتقاليد، والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية. وهناك عناصر ثقافية نفسية مثل النظام الثقافي كالمنطلقات الثقافية، العقائد، الأديان والرموز الثقافية، نظام القيم الثقافية وأشكال التعبير المختلفة، ثم العناصر العقلية

كالنظرة إلى العالم، نقاط التقاطع الثقافية، الاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية، والنظام المعرفي. وبعدها عناصر نفسية اجتماعية، كأسس الاجتماعية من اسم، مركز، عمر، جنس، مهنة، سلطة، واجبات، أدوار اجتماعية، نشاطات، انتماءات اجتماعية. ثم القيم الاجتماعية كالكفاءة، والتنوع، والتقديرية المختلفة، والقدرات الخاصة بالمستقبل كالقدرة والإمكانية، الإثارة الاستراتيجية، التكيف، ونوع السلوك<sup>2</sup>.

وفي هذا السياق يقدم إدغار موران كتابه الموسوم بالنهج: إنسانية البشرية، متضمنا خلاصة تصوراته حول الظاهرة البشرية، وإنسانية الإنسان، معتمدا على التطورات الحاصلة في العلوم والتي حدثت في مجالات المعرفة العلمية والإنسانية المختلفة التي عنيت بالظاهرة البشرية ومن جوانب كثيرة ومختلفة. إلا أن موران يؤكد في هذا الكتاب بأن الربط بين تلك الجوانب والزوايا يسمح لنا بإدراك الوحدة المتعددة المعقدة لهويتنا البشرية، فيدمج كل العلوم المتعلقة بالكائن البشري بغية بلوغ حقائق ذات قيمة إنسانية على المستوى الكوني، لذلك في الفصل الأول حول الكيفية التي تأصل بها الإنسان بتأثير من التأصل الكوني على المستويين الفيزيائي والبيولوجي، وكيف حدث الانطلاق الكبيرة نحو الأنسنة، والتي تبدو بالنسبة إليه كمغامرة قد بدأت قبل سبعة ملايين سنة، حينما استعمل الإنسان يده ومشى منتصب القامة، وأشعل النار، ثم ظهرت اللغة لديه واكتشف الزراعة، مما نتج عنه ظهور جميع النماذج الثقافية، إنها: " ثورة تنتقل من جيل إلى جيل مرسخة المعارف والمهارات والعقائد والأساطير والخبرات والآداب"<sup>3</sup>. تناول إذن الظاهرة البشرية، وهي القضية التي انشغل بها محاولا استشراف المستقبل، محاولا صياغة مشروعه الفكري الذي تجسد فيه سلسلة إصدارات أطلق عليها النهج، يروم فيها بناء تصور شامل ودقيق حول وحدة الانسانية.

### 3. من التأصيل الكوني إلى الانبثاق الإنساني:

#### 1.3 التأصل الكوني (طبيعة الإنسان الكونية-الفيزيائية):

إذا طرحنا هذا السؤال: من نحن؟ فإنه تساؤل غير منفصل عن سؤالنا: أين نحن، من أين أتينا، وإلى أين نحن ذاهبون؟ إن معرفة الإنسان لا تعني فصله عن الكون، بل تحديد موقعه فيه. وقد انتظم على الكوكب الأرضي انتظاما ديناميكيا حراريا قليل من مادة فيزيائية، ومن خلال تبليل بحري، وطبخ كيميائي بطيء، وتفرغ كهربائي، أصبحت هذه المادة حية. فالحياة مستمدة من الشمس، إذ خلقت المواد داخلها، ثم جمعت على كوكب رُشقت مكوناته إثر احتضار شمسي متفجر، إنها تحوّل سيلان ضوئي ناتج

عن الإعصارات الشمسية المتوهجة. نحن، الكائنات الحية، وبالتالي بشر، أبناء الماء، والأرض، والشمس، كالأجنة، فنحن شتات الكون، وبعض فتات من الوجود الشمسي، أو قطعة صغيرة جدا للوجود الأرضي ككل. لكن السؤال المطروح أيضا هو: هل نحن وحيدون في الكون؟ هناك أدلة لا شك فيها تؤيد القول بوحدتنا كآيتام في الكون، لا سيما الطفرة من التكوين الفيزيائي-الكيميائي المحض إلى التنظيم الذاتي الحيوي التي يتعذر إدراكها عقليا، وهناك أدلة إضافية تفترض وجود حيوات وذكاءات أخرى استطاعت الظهور في الكون. كما أننا لا نستطيع استبعاد إمكانية وجود أنماط حياتية أخرى، وأنماط أخرى للوعي، رغم أن احتمال ذلك ضعيف جدا، يؤكد الفيلسوف: "...لكن ليس بإمكاننا أن نستبعد فكرة وجود نوع من الذكاء الأرضي قد يكون غير مرئي بالنسبة لنا أو يصعب علينا تصوره، أو تصور فكرة ذكاء ضخيم صادر عن العالم ذاته، مع أن الأمر يتعلق، بذكاءات منبثقة وليس بذكاء أولي أصيل".<sup>4</sup>

### 2.3 التأسيس البيولوجي:

يجب علينا في نظر موران أن نضيف إلى أصلنا الكوني، وتكويننا الفيزيائي تأصلنا الأرضي كذلك. فقد أنتجت الأرض نفسها ذاتيا وانتظمت بنفسها عن طريق تبعيتها للشمس، وتشكلت على هيئة فيزياء إحيائية في اللحظة التي تكون فيها محيطها الحيوي. وانبثقت الحياة من الأرض، كما انبثقت الحيوانات من التطور متعدد الأشكال والأنماط لحياة متعددة الخلايا، ويتكون الإنسان من أحدث تقدم لفرع من فروع العالم الحيواني. إن الكائن البشري الفاني، مثله مثل أي كائن حي، يحمل في داخله وحدة الكيمياء الحياتية ووحدة الحياة الوراثة. إنه مخلوق شديد الحيوية طوّر إمكانات الحياة بصورة مذهلة جدا، في الوقت الذي يجسد فيه سمات الفرد الذاتية إلى أبعد حد.

ويمكن تلخيص هذه العناصر حسبها في القول بأن المخ هو المنطقة المتطورة كثيرا لدى الثدييات بحيث تغطي جميع بنيات المخ وهي متضخمة جدا لدى الجنس البشري مقارنة بمختلف الأنواع الأخرى، وهي التي تحولت إلى قشرة المخ الحديثة المسؤولة عن مهارات التحليل والتفكير المنطقي، والتي تقوم الثقافة بتطويرها بصورة دائمة، وفي هذه الحالة تظهر لنا الكثير من الصفات الحيوانية التي اختلطت بالصفات البشرية من ثدييات وزواحف، ودمج الصفات الحيوانية في الكائن البشري أيضا.

" إن العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة ليست تكاملية فقط بل هي تنافرية وتصارعية أيضا لأنها تتضمن صراعات بين الغريزة، القلب العقل وعلاقتها دائرية وليست سكونية، فكل واحدة منها تحاول السيطرة على العقلانية وإزاحتها واستبعادها من طرف الإحساس أو الغريزة، ولذلك سوف لن تتوفر العقلانية على أي سلطة مطلقة بل ستظل نسبية دائما".<sup>5</sup>

## 3.3 الانطلاقة نحو الأنسنة (إنسانية البشرية):

لقد عرف الانسان تطورا تدريجيا، منذ أكثر من ستة ملايين عاما، ثم بدأ بمغامرة جديدة وهي الأنسنة، التي أنتجت الإنسانية بعد أن أخذت تتسارع قبل مائتي ألف عام. فتوجد عدة سلوكيات سابقة في عالم الحيوان، ولكن الثقافة التي تقوم على اللغة، وحضور الأسطورة، وتطور التقنيات، هي إنسانية محضة. كما أن الإنسان كونه عاقلا، لا تكتمل إنسانيته إلا بالثقافة. وما كان للثقافة أن تقوم من دون قدرات ومهارات العقل البشري، وما كان للكلام والفكر أن يوجد من دون المكون الثقافي.

كما أدى ظهور الثقافة إلى تغيير في مسار ملحمة التطور. فكان تطور الجنس البشري -تشريحيًا وفيزيائيًا- ضئيلا جدا، لكن الثقافات بمحتوياتها المتعددة أصبحت تطويرية من خلال الابتكارات المتوالية، فتطورت التقنيات، وتغيرت المعتقدات، والأساطير، وتحولت المجتمعات من مجتمعات قديمة صغيرة إلى مدن وحوضر، وأمم إمبراطوريات ودول ضخمة. وتطور الإنسان من الناحية العقلية والذهنية، والنفسية والعاطفية في إطار هذه الثقافات ذاتها.

وفي خضم هذا التطور فإن اللغة الخاصة في نظر موران والتي ظهرت عبر الأنسنة هي في صميم كل ثقافة وكل مجتمع إنساني، وتمتاز لغات كل الثقافات، القديمة منها والحديثة بنفس البنية. مع خضوع كل لغة طبعا إلى قواعد نحوية تميزها، ومصطلحات خاصة بها، مع العلم أن تلك الضوابط والقواعد الخاصة تخضع إلى بنيات عميقة مشتركة بين كل اللغات. إن هذه اللغة الخاصة مزدوجة الترابط، مما يجعلها أصيلة ومتفوقة على اللغات الخاصة بالحيوانات ليست جديده تماما في الحياة، باعتبار أن الرمز الوراثي يمتلك البنية ذاتها. لكن بينما يحقق الرمز الوراثي الاتصال بين الجزيئات والخلايا، تحقق لغتنا البشرية الخاصة إمكانية التواصل والاتصال بين العقول. فهي تقدم تراكيب قواعدية ونحوية غير متناهية، وتعمل على إثراء المفردات بشكل غير محدود. وقد منحت الكتابة التي ظهرت في الحضارات التاريخية القدرة على التدوين الذي يتجاوز حدود الذاكرة الفردية مع زيادة لا متناهية لها من المعارف والعلوم. فاللغة الخاصة هي المنطق الأساسي للجانب البيولوجي، والإنساني والثقافي والاجتماعي. وهي جزء من الإنسانية جمعاء، لكن الإنسانية كلها موجودة في اللغة الخاصة أيضا.

## 4.3 التنوع الثقافي وتعدد الأفراد:

تتركب الثقافة أو الثقافات من جملة المعارف والخبرات والقواعد والضوابط والقيم والممنوعات والاستراتيجية والمعتقدات والأفكار والمبادئ والأساطير التي تنتقل من عصر إلى عصر آخر. وكل واحد منا

يحمل ويحقق مجموعة من العناصر التي تتمثل وظيفتها في توجيه المجتمع والحفاظ عليه بوصفه مركبا نفسيا اجتماعيا. فلا كينونة لمجتمع ما قديما أو حديثا إلا بالثقافة. ومع ذلك فالثقافة تحافظ دوما على خصوصيتها، رغم وجودها داخل ثقافات متعددة ومتنوعة حيث لا تكون إلا يواسطتها.

إن الثقافة في نظر موران هي حامية الهوية الإنسانية لا سيما المكونات الأكثر خصوصية فيها. كما تحافظ مجموع الثقافات على الهويات الاجتماعية في أدق خصوصيتها وتفصيلها أيضا. هذا وقد تعطي الثقافة الانطباع بأننا نغلق على ذاتها حفاظا على هويتها الخاصة، لكنها في الواقع تظل دوما مفتوحة وفي هذا يقول: " الثقافة تعمل على دمج المعارف والتقنيات والأفكار والتقاليد والمأكولات والأفراد الآتين من أفاق أخرى. وأي ربط بين ثقافتين أو أكثر يتضمن إثراء الثقافات ككل. فيتمكن البشر من إنجازات خلاقة بواسطة التهجينات الثقافية الممكنة، كتلك التي أعطت الفلامينكو وموسيقى أمريكا اللاتينية وغيرها. ولكن قد يحدث العكس حيث يشكل تدمير ثقافة معينة بواسطة الهيمنة التقنية والحضارية خسارة للبشرية برمتها والتي يشكل تنوع ثقافتها أحد أغلى كنوزها. ومعنى ذلك أن الانسان كائن واحد ومتعدد في الوقت ذاته "6.

يتضح لنا إذن ومن خلال جدلية الوحدة والتعدد الجيني عند الفرد الانساني أن كل فرد يحمل داخله على الأصعدة الجينية والتشريحية والفيزيولوجية مجموع سمات التنوع البشري، ويتميز بخصوصيته الجينية والتشريحية والفسولوجية في الوقت نفسه. وكل فرد إنساني يحمل داخله خصائص دماغية وذهنية ونفسية ووجدانية وعقلية وعاطفية أيضا، علما أنها عبارة عن خصائص مشتركة بين جميع أفراد البشر من جهة، وعبارة عن خصائص تعكس تفرده من جهة أخرى. وما على تربية المستقبل إلا الاعتراف بهذا التعدد الواضح، مع دمج معطياته المختلفة، حتى تكون المعرفة حقيقة، ويعتبر الكائن البشري من أكبر الأمثلة على هذه التعددية فهو في الوقت ذاته كائن بيولوجي، نفسي اجتماعي ووجداني وعقلاني، ويضم المجتمع أبعادا تاريخية، سوسولوجية، ودينية واضحة المعالم<sup>7</sup> ومن الناحية الاجتماعية، فإننا أمام وحدة وتنوع الألسن ويتعلق الأمر هنا بالألسن مختلفة تشترك في خاصية التمفصل المزدوج، مما يجعل منا توأم في اللغة مختلفان في الألسن، كما توجد أيضا وحدة متعددة تتعلق بالتنظيمات الاجتماعية والثقافية المختلفة. ينطلق إدغار موران من فكرة أساسية مفادها: " أنّ الوحدات المعقدة مثل الإنسان أو المجتمع عبارة عن وحدات متعددة الأبعاد، وبالتالي فإن الإنسان هو كائن بيولوجي ونفسي واجتماعي ووجداني وعقلاني معا، والمجتمع يضم أبعادا تاريخية واقتصادية وسياسة

وإدنية، لذلك لا يمكننا فصل الجزء عن الكل فقط بل يجب علينا التفكير في العلاقات التي تربط الأجزاء ببعضها البعض"<sup>8</sup>.

لكن السؤال المطروح هو: كيف ندرك الدورة المكررة بين الإحيائي والثقافي، في حين أنه لا يمكن تطبيق مفاهيم البيولوجيا المنهجية على ما هو إنساني بحث في الإنسان، ولا يمكن تطبيق مفاهيم الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس البشري على التنظيم البيولوجي؟

#### 4. الوحدة الإبيستيمولوجية والهوية البشرية المشتركة:

لقد حاول بعض المفكرين حسب موران البحث عن رمز يسمح بترجمة مفاهيم اللغة البيولوجية الخاصة إلى لغة أنثروبولوجية خاصة والعكس صحيح. وانطلق آخرون بحثاً عن الممر الشمالي الغربي الضيق الذي قد يوصل بين القارتين، دون التفكير بأن القارتين متداخلتان أصلاً. فلا يمكن التواصل بين بيولوجيا مجردة من مفاهيم التنظيم الذاتي، والوجود الفردي، والذكاء، وبين أنثروبولوجيا بلا حياة، إذ يؤدي نحو اختزال مفهوم الإنسان وتجزئته إلى علوم منفصلة. وقد يكون الربط ممكناً في حال ارتبطت العلوم البيولوجية والعلوم الإنسانية وانضمت بعضها إلى بعض أكثر، مع التسليم بمعتقداتها وإدراك تنظيمها الذاتي حينها فقط يمكن أن يقع المرور من البيولوجيا إلى الأنثروبولوجيا، وذلك بالمرور من تعقيد إلى تعقيد آخر وهكذا آخر.

إن وحدة الهوية البشرية الأولى تنطوي على النوع، لكن مفهوم النوع في هذه الحالة يتعدى المفهوم الوراثي ويتضمنه في الآن عينه. إنه يتعلق بالمصدر المولد للجنس البشري والمجدد له، بغض النظر عن التخصصات، والانغلاقات، والتقسيمات. فالمرور الوراثي نفسه مشترك بين جميع الناس ويحتوي على جميع الصفات الموحدة الأخرى، خاصة تلك المتعلقة بالشكل والدماغ)، ويسمح بالتزاوج بين كل البشر، من أوروبيين واسكيمو وأقزام. ويحيا كل فرد حياته ويكافح بوصفه فرداً إنسانياً متميزاً. وهذه الخصوصية التي تميز كل فرد عن الآخر مشتركة بين جميع الناس. فوحدة الدماغ سمة من السمات المميزة والمهمة في الهوية الإنسانية بشكل عام. والسؤال الذي يطرح بإلحاح هو: ألا يمكننا بعد كل ذلك أن نسلم بوجود بعض الصفات النفسية العاطفية المشتركة؟ يعتقد موران بوجود مبدأ تبادل متأصل بعمق في النفس البشرية، هو الذي يحدد التبادل، كتبادل النساء بين عشيرتين، وتبادل هبات تتحول إلى تبادل اقتصادي، وتبادل مجاملات، وشتائم، وضربات وغيرها وقد يتحكم هذا المبدأ بممارسة الثأر، والانتقام، وحتى فكرة العقاب نفسها. ويمكن تجاوز الثأر والعقوبة في المجتمعات المتحضرة جداً لذا يؤكد بأنه: "



يمكن للتسامح والعفو أن يتغلبا على الرغبة في الانتقام والعقاب، لكن هذه الرغبة الأخيرة قد تستيقظ في أعماق أي إنسان عند قراءة "الكونت ديمونت كريستو" مثلا، أو عند مشاهدة "ذات مرة في الغرب"، أو عند الإعلان عن اغتصاب إجرامي لطفلة ما. وفي مجتمع قائم على القانون، ما زال الإحساس بإقامة العدل، يعد انتقاما وعقابا إلى يومنا الحاضر".<sup>9</sup>

## 5. الإنسانية كمصير كوكبي (العصر الكوكبي):

يؤكد موران بأن: "الإنسانية ليست مجرد تعريف بيولوجي، وبدون جذور، لأن الأرض هي الوطن، كما أنها ليست مفهوما مجردا لأنها واقع حي، وبالتالي فالإنسانية مصير مشترك ووعي مشترك بالانتماء إلى الجماعة البشرية، وهي مفهوم أخلاقي أيضا، فنحن لا نملك المفاتيح لمستقبل أفضل، لكننا نستطيع أن نجد الطريق بواسطة السير، وبإمكاننا أن نحدد أيضا غاياتنا المتعلقة بالاستمرار في أنسنة البشرية بواسطة تحقيق المواطنة الأرضية في إطار جماعية كوكبية شاملة".<sup>10</sup> يؤكد المفكر برنارد غروتيزون في هذا السياق بأن الحكيم فقط من يحرص باستمرار كي يكون تفكيره شاملا لكل شيء فهو لا ينسى أبدا أنه يفكر داخل العالم، ويتصرف حسب ما يستدعيه الكون. لقد بدأ التاريخ الإنساني بتشتت كوكبي، لكنه ليس تشتتا وراثيا لأن جميع الأجناس منحدره من نفس النوع، لكنه أنتج تعددية عظيمة في الألسن واللغات، وفي الثقافات، وفي المصائر، فهو مصدر ك الابتكارات والابداعات، وهو ما أفرزته الأمم الفتية كالإمبراطورية العثمانية، والحضارة الأوروبية، والتي اندفعت لغزو العالم، حيث أفرزت عصرا كوكبيا مد جسور القارات الخمس، وتطورت معه النزعة الكوكبية من خلال نقل الحضارة الأوروبية إلى القارات الأخرى. "وهو من أدى في القرن العشرين إلى حربين عالميتين بالإضافة إلى الأزميتين الاقتصاديتين في العالم. لذلك فمصطلح الكوكبية يشير إلى أن القضية عبارة عن مشكلة عويصة يصعب معالجتها، بسبب تعقيدها وما يجري على هذا الكوكب الأرضي له علاقة في التداخل بين التطورات الاقتصادية، وتشابك المكونات الاجتماعية والدينية القومية، والميثولوجية والديموغرافية وغيرها".<sup>11</sup>

وعليه، فالجماعة البشرية ذات المصير الكوكبي تتيح لنا القدرة على تحقق واكتمال هذا الجزء من أنتربو-أخلاقية، والمتمثل في الصلة بين الفرد المتفرد والنوع البشري بشكل عام. يجب أن تدفع بالتنوع البشري إلى ال تطور في اتجاه الإنسانية، مع الحفاظ على شرطه البيولوجي-التناسلي، أي العمل على تحقيق الوعي المشترك والتضامن الكوكبي للجنس البشري. فبالإضافة إلى سياسة الإنسان، وسياسة الحضارة، وإصلاح الفكر، تعمل اللأنتربو-أخلاقية بوصفها نزعة إنسانية بالماهية، ويعمل الوعي بالأرض

أيضا على التقليص من الخزي الذي يطال هذا الكون. وفي هذا يعتقد زيغumont باومان في اعتباره الكوكب مضيافا لأوروبا: " بأن كوكب الأرض ليس في هذه اللحظة مضيافا لأوروبا. كما أنه يوحى بشكل غامض أن الأوروبيون يعيشون غيابا للضيافة، ويعد ذلك مشكل، أي خروجا عما يمكن توقعه على نحو مشروع حضاري، لأننا اعتدنا كما يفترض أن نشعر بأننا في بيتنا على الكوكب. فحيثما ذهبنا ومتى ذهبنا توقعنا أن نجد الضيافة تقدم لنا وأن تكون مهامنا الجريئة حقا اكتسبناه بالولادة، وأننا افترضنا أن شعورنا المنزلي سيستمر على أنه جزء من النظام الطبيعي للأشياء. وهذه الضيافة نشأت لدينا بصورة طبيعية إلى الحد لم نتخيله، وهذه المشكلة تحتاج إلى اهتمام خاص ووعي متقدم"<sup>12</sup>.

## 6. الهوية والوعي الأرضيين:

يقول لوك فيري: " لقد سيطرت التكنولوجيا على الطبيعة وعلى الهوية وعلى التاريخ، الذي صاحب ولادة العالم الحديث ومنح فكرة الديمقراطية معناها الذي انقلب أخيرا إلى ضده، فلقد وعدتنا الديمقراطية بإمكانية المشاركة في البناء الجماعي للعالم أكثر عدالة وأكثر حرية، لكننا فقدنا في وقتنا الحالي كل سيطرة على مسار العالم، إنها خيانة كبرى لوعود الأنسنة"<sup>13</sup>. " فالوعي الأرضي يستدعي ضرورة الحضور المركب للديمقراطية، حيث لا ينبغي للحكومة أن تكون بسيطة بحصر المعنى ولا بد للرئيس المنفرد من حكام تابعين، ولا بد للحكومة الشعبية من رئيس ما"<sup>14</sup>. فعلينا أن نتعلم إذن كيف نعيش، كيف نتقاسم الأشياء بيننا وكيف نتواصل وكيف نتوحد فيما بيننا لأن مقاومة الموت حسب موران يكون من خلال التحضر والتعاون والتضامن في الكوكب الأرضي، هذا هو الغرض الرئيسي للتربية المطلقة قصد بقاء الإنسانية واستمرارها، وعلى التربية أن تحتوي على قيم أخلاقية لها صلة وثيقة بالفهم الكوكبي. كما يجدر بنا أن نضع تاريخنا مهما بلغت درجة تراجيديته ضمن إطار إنساني متكامل، لأن البشرية تتغير ضمن خريطة كونية لمعنى يراوح بين عقلانية مغلقة ترى نموذج التقدم الرأسمالي خيارا أوحد أمام الإنسانية وترى الإنسان كائننا بيولوجيا محضا يتحقق بالاستهلاك فقط.<sup>15</sup>

### 1.6 الوعي بالطابع المركب للإنسان (الوعي بالوحدة المتعددة للهوية البشرية):

إن أي إدراك للكائن الإنساني حسب موران يعني فهمنا لوحده من خلال تنوعه، وتنوعه داخل وحدته في الوقت نفسه: " لأن الإنسان عبارة عن منظومة مركبة لا تشكل الوحدة وحدها ولا التعدد وحده، بل تشكل وحدة متعددة، لذا يجب أن تراعي كل فكرة حول الإنسان جميع مكوناته وعناصره المختلفة"<sup>16</sup>. بمعنى الوعي بضرورة عدم اختزال كائن ما في الجزء الأصغر من ذاته، ولا في أسوأ لحظة في

ماضيه، فالسينما مثلا توضح كل الجوانب الشخصية السينمائية، تلك التي تظهر كيف يستعيد المجرمين سمعتهم، هذه الأعمال الإبداعية هي ما تعلمنا الدروس الكبرى في حياتنا.

عندما نقول الإنسان ونشير إلى المذكر والمؤنث، فإن ذلك دليل على إمكانية تعريف الإنسان تعريفا واضحا سواء من الناحية الوراثية والتشريحية والفيزيائية أو من الناحية العقلية. ويقال عادة البشر لأن الإنسان لا يظهر إلا من خلال أكثر الرجال والنساء اختلافا، ومن خلالهم وخلالهم، تظهر الصفات البشرية الأساسية معدلة أو مطورة على نحو مختلف باستمرار. وكلما كان التنوع غير المحدود للتطور البيولوجي فإن تنوع حياة اللغة الخاصة غير محدود بين اللغات المختلفة وداخل نفس اللغة الواحدة أيضا. وما يقال بحق المجتمع، فإننا لا ندركه إلا بواسطة كل المجتمعات: " حيث توجد فعلا أنماط وأشكال متنوعة للمجتمع في تاريخ البشرية، وفي داخل كل نمط لها حدود للتنوعات وكذا بالنسبة إلى تنوع الآداب والتقاليد وفنون العيش وغيرها. وعليه في كل مرة وفي كل حالة، يمكن أن نشاهد الوحدة الأولى والنوعية، والوفرة المذهلة للتعددية، ويمكن أن نستنبط بأن هذه الوحدة هي التي تنتج هذه التعددية. وأن التنوعات الفردية والثقافية والاجتماعية هي ليست تغييرات متدرجة بشأن النوع المتفرد فحسب بل تحيين للقوة النوعية اللامحدودة للنموذج المتفرد من خلال تفرد ذاتة"<sup>17</sup> كما جعل موران: " من الوعي وفقا لمفهوم الكائن البشري قضية مهمة بغية تجاوز تلك المشاكل الإنسانية القائمة على الاختلاف، ومن وجهة نظره فإن نبذ الهوية الواحدة، وإدراك وحدة وتعدد الهوية من شروط الصحة العقلية التي تسمح بتحسين العلاقات الإنسانية، لا سيما وأن الإنسان قائم على الوحدة والتنوع بالماهية"<sup>18</sup>.

كل هذا في الحقيقة يستدعي شروطا تساهم في تجسيد التصور الإنساني الشامل في صورة هوية واحدة رغم التباينات الإثنوغرافية السائدة. فنحن كبشر نوصف بأننا كائنات طفولية وعصابية وهذيانية بقدر ما نحن كائنات عاقلة كذلك. وهذا ما يشكل النسيج الإنساني بامتياز يضيف موران.

فالإنسان إذن كائن عاقل وأخرق وقادر، في الآن عينه، وعلى نفس القدر من الرزانة والتهور، كما يتوفر على طاقة وجدانية كثيفة وغير قارة. إنه كائن يضحك يبتسم ويكي بقدر ما أنه قادر على المعرفة موضوعيا. وهو أيضا جاد مخطط بقدر ما هو متوجس وقلق ونشوان وسطيحي. إنه كائن منظور للعنف والحنان، وللحب والكراهية. إنه كائن يتخيل بقدر ما هو قادر على الالتصاق بالواقع، يعلم بوجود الموت ويرفضه، ينتج الأسطورة والسحر ولكنه ينتج العلم الفلسفة. إنه كائن يعبد الآلهة والأفكار ويشك في

الوقت نفسه في الآلهة وينتقد تلك الأفكار، إنه يستخدم المتاح من أفكار وتصورات متحقق منها ولكن أيضا من أوهام وخرافات. وحين تتوقف المراقبة العقلانية والثقافية والمادية، يقع الخلط بين الموضوعي والذاتي، والواقعي والخيالي، وحين تسيطر الأوهام والتهور الجامح، يخضع هذا الكائن الإنسان الجنوني الإنسان العاقل ويستخدم ملكة العقل في خدمة أوهامه وأحلامه.

## 2.6 الهوية والوعي الأرضيين والمصير الأرضي المشترك:

تعد وحدة الكوكب الأرضي في نظر موران الحد الأدنى في المطلب العقلاني المتمثل في عالم ضيق ومتربط الأجزاء. وتستدعي هذه الوحدة وعي وشعور بالانتماء المتبادل. والذي يمكننا من الارتباط بأرضنا بوصفها وطننا الأول والأخير. فمفهوم الوطن يتضمن هوية مشتركة بين كل الناس، ناجمة عن علاقة انتساب عاطفي إلى جوهر أمومي وأبوي في الوقت ذاته، كما يشير مفهوم الأرض-الوطن أيضا إلى المصير المشترك بين الناس.

لذلك ينبغي أن نتعلم كيف نحيا فوق الكوكب، أي كيف نتقاسم الأشياء بيننا، ونتواصل. هذا شيء نتعلمه فقط في، ومن خلال ثقافتنا الخصوصية. وباعتبارنا أناسا ينتمون لكوكب الأرض ليس مفروضا علينا أن ننتمي لثقافة ما فحسب، بل مفروض علينا أن نعي بوجودنا ككائنات أرضية، فنسعى نحو السيطرة على الأرض بتوفير سبل العيش فيها وتحسينها وفهمها. وبالتالي يجب أن نرسخ بداخلنا ما يلي: الوعي الأنثروبولوجي الذي يعترف بوحدتنا في إطار تعدديتنا، والوعي الإيكولوجي، أي الوعي بأن نعيش مع الكائنات الفانية داخل نفس المحيط الحيوي، والوعي المدني الأرضي، أي الوعي بالمسؤولية والتضامن مع أطفال الأرض، والوعي الحواري الذي نحققه بواسطة ممارسة مهارة التفكير، تلك التي تسمح لنا بنقد بعضنا البعض وبنقد أنفسنا معا، قصد فهم ذاتنا وكشف أخطائنا، لذا يعتقد بأنه: "ينبغي أن لا نقوم أبدا بوضع تعارض بين الكون ككل وبين مختلف الأوطان، بل لابد أن نربط بشكل تراكزي بين أوطاننا العائلية، والمحلية والأممية والأوروبية والعمل على دمجها داخل هذا الكون الملموس الذي نسماه بالوطن الأرضي".<sup>19</sup> لكن السؤال المطروح هل فعلا الثقافة واحدة؟

يعتقد الأستاذ عفيف أن الثقافة الإنسانية هي ثقافة أصيلة متواصلة ضمن السياق القومي، بينما الثقافة التقنية ثقافة متبادلة متحولة ضمن السياق العالمي. والمعاصرة هي تبادل الحدائث، وهي معاصرة وحيدة الطرف سواء كان ذلك في نطاق الثقافة المادية التقنية أو في نطاق الثقافة الإنسانية. لذلك فالقول بعالمية الثقافة ومطلقيتها سيكون تهديدا واضحا للذاتية الثقافية لأي قوم من الأقوام، وكذلك الدعوة إلى الانتماء الثقافي العالمي هي دعوة إلى التبعية التي انتشرت بصورة مذهلة كانتشار

السرطان في الجسم التقدمي. " ومن أجل بلوغ التحرر الثقافي المطلوب يجب أن نفرق بين الثقافة التقنية وخصوصية الثقافة الإنسانية، وكذا ضرورة التمييز بين المدنية العالمية وثقافة الشعب الخاصة "20.

## 7. شروط تحقيق الهوية الكوكبية:

وتكمن هذه الشروط حسب مشروع موران فيما يلي:

### 1.7 تعليم الشرط الإنساني والهوية الأرضية:

يرى إدغار موران بأن الإصلاح التربوي قائم أساسا على تعليم الشرط الإنساني، مؤكدا ذلك بقوله: "من المفروض أن تشمل الفلسفة على مفهوم أولي كوني يختص بالشرط الإنساني ولقد دخل البشر تجربة العصر الكوكبي خصوصا وأن مغامرة مشتركة توحد بينهم أينما كانوا عليهم الاعتراف بإنسانيتهم المشتركة كإطار موحد لهم، وعلمهم أيضا أن يأخذوا بعين الاعتبار ويحترموا تنوعهم الفردي الثقافي. فيشكل الشرط الإنساني إذن شرطا حاسما وضروريا للتربية على البعد الكوكبي وتحقيق الأنسنة، لأنه يبرز بوضوح كيف أن الحيوانية والإنسانية تحددان معا شرطنا الوجودي.

إن دور التربية على الشرط الإنساني تحيلنا على كيفية تشكل الوجود الإنساني بواسطة التكامل الحاصل بين بعدين أساسيين لا يمكن الفصل بينهما وهما البعد الإنساني والبعد والحيواني معا، إذ عرفت الأنسنة مراحل كثيرة ابتداء من البدائيين، كما عرفت انبثاق لغات وثقافات عديدة، مع تطور استخدام اليدين والرجلين واستقامة الجسم وتطور الدماغ. لا سيما وأن استخدام العقل يزيد من حجم الدماغ، ومن عدد الخلايا العصبية، وترجم التقدم المتصل باستطالة فترة الشباب، هذا ما يؤدي إلى تطور جميع عناصر الحياة الاجتماعية بتعقيداتها المختلفة، فالثقافة هنا ضرورية لاستمرار الأنسنة حتى مجيء الإنسان العاقل، مما يتيح لنا إمكانية التعرف على الترابط القائم بين ما هو طبيعي وما هو ثقافي.

تشرط المواطنة الأرضية أن نفكر في هويتنا المشتركة وهو تفكير لا ينبغي أن يتوقف عند مجرد ضبط المفهوم وتقديم التعريف ووضع الحد الجامع والمنايع، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى تحريك الثوابت وإدخال التعقّد في البسائط وزرع الاختلاف في الواحد والتعدد في الوحدة والاعتصام بالمنهج المركب والتدبير الأخلاقي لمستقبل النوع الإنساني.<sup>21</sup> وفي هذا السياق يحث موران في مشروعه التربوي: "على ضرورة الاعتراف بوجود هوية أرضية مشتركة بين كل الناس، لأن البشر كلهم يعيشون المصير ذاته خاصة وأنهم يعيشون نفس مشاكل الحياة والموت"<sup>22</sup>، وعلى هذا الأساس يجب أن يتصف تفكيرنا بالانفتاح الإيجابي حيث يتغذى من جميع الثقافات القائمة، ذلك هو هدف التربية التي ينبغي عليها أن تعمل في

العصر الكوكبي على تشكيل الهوية والوعي الأرضيين معا، فيجب على كل ثقافات العالم وكل الهويات الأرضية أن تتحد مع المحافظة على تنوعها واختلافها، فهذه مهمة تربية المستقبل، إذ عليها أن تعلم الإنسان كيف يعيش فوق هذا الكوكب، وكيف يتواصل مع الآخر دون إلغائه أو طمس هويته، بل من الأفضل أن تنصهر هويات جميع البشر في هوية واحدة مشتركة تتصف بالوعي، ويعد ذلك أهم عامل للمحافظة على استمرارية الإنسانية برمتها.

وعلى هذا الأساس يقترح موران تفعيل فضيلة التعاطف بين الذوات وتأسيس هوية مركبة كحل للوضعيات اليائسة التي يمر بها الناس في عصرنا، بسبب تطور العوامل التي يترتب عنها التحطيم والتفكيك، ويقدم التعاطف بوصفه مشروعاً هادفاً نحو بناء هوية تفاعلية ومتقدمة، فهو يحثنا على ضرورة الشعور بالناس الآخرين من خلال مشاركتهم مشاكلهم والتفاعل معهم لإيجاد الحلول المناسبة لها. كالجار الذي يحزن لحزن جاره ويفرح لفرحه، دون أن يقتصر ذلك على التجاور فحسب، بل يمتد إلى التعاطف الذي يربط بين أفراد الجماعة الإنسانية رغم الاختلافات الثقافية، وذلك بقصد تحقيق التعايش بين الأمم. ومن أجل تغيير الوضع وتربية مستقبلية ناجحة ينبغي على الإنسان الحرص على تشكيل هوية إنسانية كوكبية والعمل على تحسينها وفهمها، ولتكريس مبدأ الهوية الأرضية ينبغي علينا أن نعمل على عوامة الفهم القائمة على المشروع التربوي.

## 2.7 دور التربية في ابراز الوحدة والتنوع البشريين:

يؤكد موران أن للتربية دوراً بارزاً في ترسيخ فكرة وحدة التنوع البشري دون المساس بفكرة التنوع نفسه، كما ترسخ أيضاً فكرة التنوع دون ضرب فكرة الوحدة. وبالتالي فإن التنوع الإنساني مماثل ومعاقل للوحدة الإنسانية. وهذه الوحدة لا تكمن في الخصائص البيولوجية فقط بالنسبة للإنسان العاقل، مثلما أن التنوع لا يقتصر على الصفات النفسية والثقافية والاجتماعية له. يوجد إذن تنوعاً بيولوجياً في صميم الوحدة الإنسانية بقدر ما توجد وحدة ليست دماغية أو بيولوجية فحسب بل عقلية ونفسية ووجدانية أيضاً. كما تتوحد الثقافات والمجتمعات المتباينة في مبادئ مولدة منظمة ومشاركة. فالوحدة الإنسانية تتضمن في داخلها مبادئ اختلافاتها المتعددة. لذلك لا يمكننا فهم الإنسان إلا إذا تصورنا وحدته في قلب تنوعه، وتنوعه في صميم وحدته. ومعنى ذلك هو أن نعي جيداً وحدة المتنوع وتنوع الواحد، وللتربية طبعاً وتربية المستقبل تحديداً دوراً بارزاً في التعريف بمبدأ الوحدة والتنوع في كل المجالات والميادين. " لكن المنظومة التربوية اهتمت بدراسة الإنسان لا في بعده المعقد الشامل، أي باعتباره ثالثاً، فالإنسان من وجهة نظره يشتمل على الفرد مثلما يشتمل على المجتمع والنوع، كما أن الكائن البشري من منظور

اجتماعي هو عنصر صغير في المجتمع، وهذا المجتمع موجود داخل الكائن البشري منذ ولادته، ذلك أنّ الثقافة واللغة والأخلاق والأفكار تنفذ إلى ذهن الكائن البشري، وهو بذلك يتغذى بالمجتمع ومن خلاله<sup>23</sup>. فالوحدة متعددة والتعدد واحد في إطار عالم معلوم ينبغي أن تسوده المبادئ الديمقراطية لتحقيق التعاطف والتقارب الإنساني المنشود.

## 8. العولمة والبعد المركب في التقارب الانساني:

تعد العولمة حسب ادغار موران نزعة موحدة وتصارعية بالماهية. لقد أصبح العالم في وقتنا شيئا واحدا، ومقسما أكثر فأكثر في الوقت نفسه، إنها مفارقة العصر الكوكبي الذي كرس هذا التقسيم المعمم إلى ما يمكن أن نسميه الدولة الوطنية، فتعزز مطلب تحرر الأمة بالرجوع من جديد إلى الاعتراف بالهوية الماضية أو التاريخية، التي جاءت كرد فعل ضد التيار الكوكبي الشامل الذي يدعو إلى التجانس الحضاري. لذلك أدى القرن العشرين إلى خلق نسيج كوكبي موحد، لكنه عمل على تجزئته وتفكيكه أيضا، حيث أصبحت أجزائه معزولة، وشائكة ومتصارعة. إن الدول المسيطرة على المشهد العالمي، هي إما دول جبارة متوحشة أو مزاجيه، أو دول قوية أو ضعيفة. نما أن التقدم التقنو-صناعي سوف يقضي على التعددية الإثنوغرافية، والثقافية للجماعات الانسانية. كما أن التطور الحاصل الآن قد أفضى إلى مشاكل وأزمات بدلا من تقديم الحلول المناسبة، فشهدت المجتمعات الغربية المزدهرة الأزمة العميقة للحضارة. وبالتالي ينبغي عدم اختزال التنمية في المجال التقنو-الاقتصادي أي الجانب المادي فقط، بل يجب أن يكون مفهوما مركبا، شاملا لكل العناصر العقلية، والوجدانية، والأخلاقية، والذهنية. يقول رفقة بودريارد: "تساهم العولمة في توحيد كوكبنا الأرضي بترويجها لقيم اقتصاد السوق، والعلم، والتقنية، والصناعة في العالم برمته. وهي قواعد ومعايير العالم الغربي. وسوف تحدث عملية معاكسة للعملية التوحيدية تكون معارضة لهذه الوحدة قصد حماية هويتها الثقافية، القومية أو الدينية، وستشدد هذه المقاومة مع ظهور حدث لا قيمة له ظاهريا في نهاية القرن العشرين، وهو عدم تألف العقيدة مع التقدم. لقد كان الناس في الماضي مقتنعين بأن مستقبل العالم قد يكون أحسن بفضل ما يسمى بالتطور، أو التقدم. هذه الكلمات السحرية بالنسبة لبعض الناس مرادفة لتحسن الأوضاع"<sup>24</sup>.

لكن التطور العلمي التقني والطبي والاجتماعي الكبير، لا ينفى قيمة السلطة المريعة المدمرة والتي تجد تحت تصرفها العلم والتقنية، وهو ما أدى إلى القضاء على الإنسانية بشكل نهائي، لا سيما وأن

التقدم ذو النموذج الغربي لا يعي بأن هذا النموذج يحتوي على مساوئ، حيث أن رفاهيته تعمم البؤس، وفردانيته تحتوي على الأنانية والعزلة وانفتاحه الحضاري يسبب القلق والملل والكآبة. وقوته المنفلتة تؤدي إلى الموت النووي. ولكن ينبغي حسب موران عدم الاستمرار في هذا الطريق وعدم التدليل إليه، بل يجب تغيير الطريق الذي سلكناه. كل تطور جديد يفترض تحولا، وكل تحول يفترض تراجعا، وذلك بالرجوع إلى القوى الخلاقة والمبدعة في العالم المعولم.

### 1.8 عولمة جمعية وميلاد مجتمع عالمي:

يطرح إدغار موران سؤالاً حول ميلاد المجتمع العالمي قائلا: "هل ينتهي الإنسان إلى الإنسانية بما هي جماعة هوية؟ هناك محاولات عند بعض الفلاسفة منذ القدم ومن بينهم الرواقيين، الذين أسسوا لتركيب فلسفي لمدينة العالم التي ينتهي إليها الرواقي، تتأسس على كونية العقل ومنها كونية القوانين أيضا. وهي مدينة تسير على قواعد ومبادئ عقلانية مشتركة بين جميع الناس. وذلك وفقا لمقولة عرش على وفاق مع الطبيعة وعرش كأنك وحيد على جبل. ولا يهم هنا أو هناك، إذا كان الإنسان حيثما وجد فإنه يعتبر الكون كله مدينة له"<sup>25</sup>. وبالتالي فهذه العولمة التقنية هي المرحلة النهائية لمسيرة التكوّن، كما تعد أيضا ظهورا لبنية تحتية لنوع جديد من المجتمع البشري الذي نسميه بالمجتمع العالمي. إن المجتمع يكون له مجال ترابي يشتمل على نظام للتواصل وكوكب الأرض مجال ترابي يتصف بنسيج من ضروب التواصل كالطائرة والهاتف والفاكس والإنترنت، لم يشهدها أي مجتمع في الماضي. إنها حضارة عالمية منبثقة من الحضارة الغربية تتقدم بتفاعل العلم والتقنية والصناعة والرأسمال، وتتضمن الكثير من القيم المعيارية المتعددة.

وأي جماعة إنسانية تشتمل في ذاتها على ثقافات متنوعة، وثقافة تميزها. والحال أنه توجد عدة تيارات عبر ثقافية تشكل أشبه بثقافة كوكبية. فقد أحدثت وسائل الإعلام خلال القرن العشرين وأشاعت وصنعت فولكلورا عالميا من موضوعات أصلية استمدتها من ثقافات مختلفة، حيث استمدت بعضه من جذوره وبعضه الآخر ابتدعته ابتداعا. وقد تشكل الفوكولور الكوكبي وأصبح أكثر غنى بفضل ما يلتقي به يندمج فيه. وبهذا فثقافات العالم كلها يثري بعضها بعضا في الضراء أحيانا، وفي السراء في أحيان أخرى، دون وعي منها أنها مثل أبناء الكوكب الواحد. وفي الأخير فإن عولمة الأمة التي اكتملت في أواخر القرن العشرين أصبحت تضي على كوكب الأرض صفة مشتركة حضارية وثقافية، لكنها تقوي عملية تفكيك كوكبنا واختزاله. إن الأمة وهي تحريرية وقامعة معا، تجعل من الصعوبة البالغة إنشاء اتحادات تستجيب إلى الاحتياجات الحيوية للقارات وتمنع ميلاد اتحاد كوكبي أو كوني.



## 2.8 الديمقراطية والبعد المركب:

من الصعوبة بما كان ضبط مفهوم الديمقراطية بطريقه بسيطة، لأن سيادة الشعب وسيادة لمواطن تتضمن التقنين الذاتي لهذه السيادة عن طريق طاعة القوانين وتحويل السيادة إلى المنتخبين، مثلما تتضمن الديمقراطية أيضا التقنين الذاتي لنفوذ الدولة من خلال الفصل بين السلطات، وضمان الحقوق الفردية، وحماية الحياة الخاصة. ومن المؤكد أن الديمقراطية تستوجب توافق أغلب المواطنين، واحترام الضوابط المشككة لها، لكنها تحتاج إلى التعددية وإلى أنواع من الصراعات في الوقت ذاته.

يرى ادغار موران أن تجربة الأنظمة الكليانية قد أبرزت بأن الطابع المميز للديمقراطية هو علاقتها الحية بالتعددية، فتقوم الديمقراطية على تغذية تعددية المصالح وتعددية الأفكار أيضا. إن احترام التعددية يعني أن الديمقراطية لا يمكن أن تكون متطابقة مع ممارسة ديكتاتورية الجماعة على الأقليات، فيجب أن تضمن الديمقراطية حق الأقليات وحق المحتجين في الوجود وفي التعبير عن الرأي، مع إتاحة الفرصة للتعبير عن الأفكار الشاذة والمشاعر المنحرفة. ومثلما يجب حماية تعددية أنواع الكائنات الحية من أجل الحفاظ على المحيط الحيوي، يجب كذلك حماية تعددية الأفكار والآراء والمعتقدات، وحماية تعددية مصادر الخبر في مجالات الصحافة ووسائل الإعلام، قصد الحفاظ على الحياة الديمقراطية ككل. وفي الوقت ذاته فإن الديمقراطية تحتاج أيضا إلى صراعات بين الأفكار والآراء حيث تضيحي الحيوية والإنتاجية على الحياة الاجتماعية والثقافية. ولكن حيوية وإنتاجية هذه الصراعات لا يمكن أن تجسيدها إلا بالإدعان لقواعد وقيم الممارسة الديمقراطية، التي تنظم التناقضات وتعوض الصراعات المادية بصراعات بين الأفكار والمفاهيم، فتحدد بواسطة الجدالات والانتخابات من سينتصر مؤقتا من تلك الأفكار المتصارعة، وفي المقابل من الذي يمتلك مسؤولية العمل على تحقيق تلك الأفكار في الواقع. ولهذا يؤكد بأن: "ترسيخ الديمقراطية يقتضي أن لا تحيا بدون تعددية وبدون صراع فكري، وهو ما يستوجب ضرورة التسامح، والاعتراف بأن آراء وأفكار كل من يناقضنا تحتوي على جزء من الحقيقة، رغم ما قد تحمله من مظهر متناقض ومجنون، ويمكن هنا الاستشهاد بمبدأ باسكال القائل بأن عكس الحقيقة ليس هو الخطأ، وإنما هو حقيقة مضادة"<sup>26</sup>.

وعليه، فالديمقراطية تشكل نسقا سياسيا مركبا، لأنها تحيا بفضل أنماط مختلفة من التعددات والصراعات والتناقضات، مع الحفاظ على وحدة الجماعة، لذا فهي عبارة عن وحدة تجمع داخلها بين الوحدة والتفكيك، إنها وتتعدى دائما، وأحيانا بصورة هيجانية من الصراعات التي تضيحي عليها تلك الحيوية التي تتميز بها، كما تحيا بفضل هذه التعددية الموجودة حتى على صعيد الدولة من خلال تقسيم

السلط إلى تشريعية وتنفيذية وقضائية. وفي هذه الحالة ينبغي على الديمقراطية أن تحافظ على هذه التعددية من أجل أن تحافظ على نفسها. ويكن علينا الاعتراف بأن ديمقراطيتنا فيها نواقص وعيوب ومساوئ، إذ لا يتم استشارة المواطنين المعنيين حول البدائل الممكنة في مجالات معينة كالنقل مثلا. يقول في هذا الصدد: " ولا يتعلق الأمر بديمقراطيات غير مكتملة فحسب، بل حدثت حالات وسيرورات تعبر بحق عن تراجع ديمقراطي رهيب، فينزح حق المواطنين في المساهمة في القرارات السياسية الأكثر أهمية بحجة أنها قرارات معقدة وخاصة جدا ينبغي أن تكون بيد الخبراء فقط، وهذا ما يهدد التعددية مباشرة، وتقلل من نسبة التمدن والتحضر"<sup>27</sup> ألم يؤكد كانط سابقا، أن التناهي الجغرافي يفرض على ساكنتها مبدأ الضيافة الكونية، ويفرض عليهم الاعتراف بحق الغير في ان لا يعامل كعدو. وانطلاقا من القرن العشرين أصبحت الجماعة البشرية محكومة بمصير كوكبي أرضي مشترك، يفرض علينا بإلحاح التضامن والتعاون.

## 9. المقاومة والتغيير لتحقيق الهوية الإنسانية:

لتحقيق هوية كوكبية مشتركة ينبغي على الجميع مجابهة العدم ومقاومة قوى التقهر والموت الهائلة، لأن الحد من الموت مقاومة، والنضال ضد الوحشية مقاومة، والمستقبل لم يعد ذلك التقدم الرائع نحو الأمام، وبالأحرى يجب القول بأن هذا التقدم اللامع لتهديدات العبودية والخراب علينا أن نقاومه أيضا. وبشكل أكثر ضرورة علينا من الآن، ومن دون توقف مقاومة الكذب، والخطأ والخلاص والاستسلام والأيدولوجيا ومقاومة التكنوقراطية، والبيروقراطية، ومقاومة الهيمنة والاستغلال والقساوة. وأكثر من ذلك يجب علينا أن نهئ أنفسنا إلى أشياء جديدة من القمع، أي إلى أشكال أخرى من المقاومة. مع العلم أننا لا نستطيع تجاوز التهديد القاتل إلا بواسطة تحولات كبيرة ومتنوعة بإمكانها إثارة شروط المشكلة إذا أراد الإنسان أن يعيش في هذا الكون، إذ عليه أن يتغير على حد تعبير ياسبيرز. وكلما تقدم الموت، زادت ضرورة إنقاذ الحياة. وهنا تظهر من جديد فكره الثورة، أي فكرة تحول جذري ستؤثر في القت ذاته في الفرد، وفي العلاقات القائمة بين الأفراد أيضا، والنظام الاجتماعي للأمم والدول، والذي سيعزز على ظهور أو بزوغ الإنسانية من حيث هي إنسانية، لكن ينبغي على الفكرة الجديدة للثورة أن تطهر من كل خلاص، ما عدا من فكرة إنقاذ المغامرة الإنسانية المستمرة.

كما لا ينبغي علينا تخيل العلاقات بين الثقافات من خلال لفظ الحدود، وإنما من خلال مصطلحات التأثيرات المتداخلة بين مراكز لا يراعي إشعاعها وزنا للحدود. " فالحدود تحتفظ بدور لا

يمكن تخطيه في عصر الدول-الأمم التي ما تزال عبارة عن كيانات سياسية عالية المكانة تعترف بها المنظمات التابعة للأمم المتحدة فقط. إن الحدود بالفعل ترسم حد سيادة الدول وصلاحياتها في إقامة العدل ومدى قوتها العسكرية، وفي المقابل فالمراكز الثقافية المنتشرة في العالم جديدة بأن تحمل اسم نواة لتأثير الإشعاعي الذي تمارسه في الخارج"<sup>28</sup>.

وفي هذه الحالة يؤكد موران على ضرورة مجابهة البربرية الأوروبية والتي تتمثل إحدى مظاهرها في نعت الآخر المختلف بالبربري بدلا من الابتهاج بهذا الاختلاف واعتباره أداة للإثراء والمعرفة والعلاقات بين الأمم. يمثل مونتينييه هذا الفكر بحرية غريبة، إذ عرف كيف يتحرر من أفكار البربرية المسبقة لزمانه، فأكد أن مصدر حريته يوجد في هذه الحرية الداخلية للنفس وفي استقلاله عن اليهودية والمسيحية معا. فهو لا يعاني من التضاد بين يهودي ومسيحي مثلا، أوبين مسلم ويهودي، وبين مؤمن وكافر. علما أنه يمكن لأصول مونتينييه المرتبطة بمعتنقي المسيحية الجدد أن تكون بعيدة جدا، لكن تفتح بداخله هو بالأحرى فكر هؤلاء. وهل المستوى السياسي ظل حذرا جدا، دون أن يتخلى عن توجهه الأخلاقي؟ " إن العقل عند سبينوزا هو السيد، لكن لا يتعلق الأمر بعقل جامد وإنما بعقل عمقه الرحمة، فظل يرفض فكرة الشعب المختار والتي اعتبرها فكرة غير راهنة، لذا فكر في علمنة الهوية اليهودية، وعن طريقها وبعيدا عن المسيحية أعاد الصلة بمفهوم الكونية. وبالتالي سنجد عنده استقلالية العقل التي نادى بها مونتينييه قبله

" 29

فما يجب تجنبه بأي ثمن بالنسبة لأوروبا هو الوعي الجيد بدلا من الوعي الخاطئ والمنتشر على أوسع نطاق، كما يجب أن يفتح الاشتغال على الذاكرة المكان لانحصار تسلط البربريات: الاستعباد، النخاسة، الاستعمار، العنصرية العرقية، الشمولية النازية والسوفييتية. واندماج هذا التسلط في فكرة أوروبا، سيمكننا من إدماج البربرية في الوعي الأوروبي. وهو الشرط الحاسم لتجاوز المخاطر الجديدة للبربرية. ولكن بما أن الوعي الشقي هو أيضا وعي خاطئ، فما نحتاجه هو وعي مزدوج. فمن الضروري أن يدمج في وعي البربرية الوعي بأن أوروبا تنتج عبر الأنسنة الكونية والتطور التدريجي لوعي عالمي إنساني كما تنتج تريقا بربريتها الخاصة، يقول ادغار موران بأنه لا يوجد شيء لا يقبل التحول إلى ضده، لذلك على الظروف الديمقراطية الإنسانية أن تتجدد بالدوام وإلا فإن مآلها السقوط، وتحتاج الديمقراطية لبعث الحياة في نفسها باستمرار، والتفكير في البربرية أيضا هو المساهمة في الأنسنة، وإحياء الأنسنة يعني مقاومة البربرية بعقلانية.

## 10. استبعاد الاستبعاد ونشر ثقافة الاعتراف شرطاً لتحقيق المواطنة الأرضية:

لقد أنشأ المبشر غاري ديفيز بعد الحرب العالمية الثانية الجمعية الدولية المسماة بمواطني العالم، التي وإن كانت هامشية فإنها لا تزال تتعهد الأمل في الوحدة الكوكبية. وابتداءً من سنوات السبعينيات أصبحت جمعيات الأطباء تتوجه إلى كل أنحاء العالم لمداواة المرضى، دون أي تمييز عرقي أو ديني. وهذه منظمة العفو الدولية تدافع عن حقوق الإنسان في كل الأصقاع وتفضح الجبس التعسفي والتعذيب المسلط من الدولة. وهذه منظمة السلام الأخضر التي كرست جهودها للمهمة الحيوية للحفاظ على المجال الحيوي. يقول موران حول الأرضية التي تمهد لتشكيل هذه الهوية: "الأخر هو النظير والمختلف في الوقت نفسه، نظير بسماته البشرية أو الثقافية المشتركة. ومختلف بتميزه الفردي أو باختلاقه العرقي، فالأخر يحمل فعلاً في دواخله الغرابة والتماثل. وبصفته ذاتاً يتيح لنا أن نفهمه في تماثله واختلافه، أن انغلاق الذات على نفسها تجعل الآخر غريباً عنا، أما الانفتاح على الآخر فيجعله أختلاً لنا. فالذات بطبيعتها منغلقة منفتحة"<sup>30</sup> اذن لا نرى الهوية بالمعنى الصحيح الا باستبعاد الاستبعاد نفسه.

يعتقد إدغار موران أن الآخر يماثلنا ويتميز عنا بصفاته الخاصة، فمن جهة يماثلنا كوننا ننتمي كلنا إلى الإنسانية ونحدر من أصل واحد ولنا مصير واحد ومشترك، ومن جهة الاختلاف والتباين فهو ينتمي إلى عرق معين، وثقافة غير ثقافتنا ومعتقداته الدينية غير معتقداتنا ولغته التي يتحدث بها غير لغتنا، فهو يختلف عنا من حيث الثقافة السائدة في مجتمعه، حيث لكل شعب من الشعوب ثقافة تميزه عن المجتمعات والأمم الأخرى، وكون الآخر ذات تختلف عنا نستطيع أن نفهمه انطلاقاً من ذاتنا بالرغم من اختلافه عنا ذلك أننا عندما نكون منفتحين على الآخر، نرى أنه جزء منا عندما نكون متقوقعين حول ذاتنا، نرى الآخر غريباً عنا وننظر إليه نظرة احتقار، وأنه عدو يهدد حياتنا، لذا ينبغي تهميشه واستبعاده من حياتنا. فالعلاقة مع الآخر قائمة ضمناً في العلاقة مع الذات نفسها. يوجد وعياً قديماً ومتأسلاً بعمق في روحنا يبين أن كل واحد منا يحمل في داخله ذاتاً أخرى فأنا هي أخرى، غريبة عن الذات ومماثلة لها في الآن عينه. عندما ننظر إلى المرأة نشعر أننا غرباء عن أنفسنا مع أننا نتعرف إليها. ولأننا نحمل في داخلنا هذه الثنائية حيث أنا هي أخرى، نستطيع إدخال الآخر ودمجه في أنا خاصتنا عن طريق التعاطف، والصدقة، والمحبة أيضاً.

لقد أوضح إدغار موران العلاقة مع الآخر، من خلال أن الإنسانية تنتهي إلى أصل واحد وهو آدم أبو البشرية جمعاء، لكن هذه البشرية تنوع وتختلف، فكل جماعة بشرية لها طابعها المميز، أي لها ثقافتها الخاصة، التي تنفرد بها، من حيث اللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية وغيرها، وعلى

الرغم من هذا التمايز فإنها تبقى واحدة ذات أصل واحد، لأن الآخر جزء لا يتجزأ منا لذا ينبغي علينا أن نتفهمه ونحترمه، كي أتمكن من إدراك ذاته. يريد موران بهذه الفكرة أن يبرز بأن الصلة مع الآخر متجذرة فينا، فالآخر افتراضي داخل كل واحد منا ويجب أن يتعين لكي يصبح كل واحد هو ذاته. وعلى العكس من ذلك فإن مبدأ الاندماج من خلال المحبة ضروري لمبدأ الاستبعاد الذي يتيح لنا بوضعنا في مركز العالم، ووضع الآخر فيه، يقول: " لذلك كله فإن الأخلاق الحقيقية تعارض دوماً ومن أجل الآخر جميع أنواع العزل من قبل مجموعة وجميع أنواع وضع القوائم وجميع أنواع الحرمان الكنسي والطردي الذي يستبعد المنحرف من الجماعة وأخيراً، تعارض الازدراء أو الاحتقار الذي يستبعد هذا الآخر من النوع البشري، ولاستبعاد الإهانة والازدراء والكرهية يتطلب استبعاد الاستبعاد بإهانة الإهانة، وكرهية الكراهية، وازدراء الازدراء، واحتقار الاحتقار"<sup>31</sup>.

إن المشروع الحضاري الكوني هو الذي يجبنا على السؤال التالي: القيم إلى أين؟ إن مسؤولية المثقفين لا تتمثل في استباق تطورات تخضع لظروف متعددة غير واضحة، بل تتمثل في لعب دور المدرب العام مع أخذ المسافة عن أهل السياسة وخبراء الاقتصاد والعلوم الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك علينا وعلى المستوى العالمي أن نضع أنفسنا في خدمة الجمهور العريض، مع الأخذ بعين الاعتبار أننا لسنا إلا أقلية. ويتم ذلك قبل كل شيء برفض الأفكار المسبقة التي تحول دون تجدد تراثنا الثقافية التي لا ينضب معينها.

لقد حدث تغييراً جوهرياً مع زيادة الاستقلالية والمسؤولية الفردية، لأن الالتزام لم يعد يأتي من الله، ولا من الدين ولا من الدولة ولا من المجتمع، وإنما من الفرد ذاته، وفقاً لنظرية الالتزام الجازم عند كانط، فأصبح هذا الالتزام معزولاً، ينتج ذاته ويبرر نفسه، وهذه الوضعية يجب أن تتطور وفقاً للوعي بأن ما هو إنساني ليس الفرد لوحده، ولا المجتمع ولا جنسنا البيولوجي، وإنما المركب المكون من هذه المصطلحات الثلاثة في تداخلها وتكاملها. وحسب هذا المنظور تصبح القيم المتعلقة إذن بالفرد من خلال مسؤوليته وكرامته وفضيلته وشرفه، ولكنها أيضاً متعلقة بالمجموعة وبالجنس، خاصة في إطار العولمة. وبما أنه من الصعب احترام هذه المسؤوليات الثلاث من الالتزام في الوقت نفسه فإن كثيراً ما يظهر تضارب في الواجبات. وفي المقابل ينبغي علينا تعزيز التواصل مع الآخر، والانصهار معه والعمل على تحقيق التقارب بيننا وبينه للحد من الصراعات والنزاعات. " ثم علينا تقوية وتعزيز الروابط مع هذا الآخر قصد تحقيق ثقافة التعايش السلمي بين الدول والأمم. فالآخر هنا مختلف عن الذات اختلافاً غير قابل للاختزال أو التبسيط، ولكنه متمم لها في الوقت نفسه، ولكن الأمر هو نفسه في علاقات اجتماعية أخرى،

كعلاقات الصداقة وعلاقات التعلم، وحتى علاقة المولود الجديد بأمه"<sup>32</sup>. وهكذا فإن استبعاد الآخر واختزاله من النوع البشري سلوك ترفضه الأخلاق، لأن عزل الآخر من النوع البشري، هو إهانة في حقه، فالآخر مهما كان مجرماً أو منحرفاً ينبغي عدم إقصائه وعدم استبعاده من النوع الإنساني، ذلك لأنه جزء لا يتجزأ من هذا النوع. ألم يتساءل جون راولز عن ضرورة تفكيك تصورنا للعدالة كقيمة أخلاقية سامية وإعادة النظر في رؤيتنا للعلاقات التي تربط البشر فيما بينهم وذلك لتكريس التسامح والتعايش انطلاقاً من وحدة العقل بالدرجة الأولى؟

أما بالنسبة لتايلور فهدفه هو الاعتراف العام بالهويات والانتماءات الثقافية، وهو اعتراف سياسي يسعى إلى شرعنة بعض الحقوق الجماعية التي لا مكان لها أصلاً في الدستور على الإطلاق، ولذلك جاءت مسألة الاعتراف السياسي والقانوني بالاختلافات الثقافية مسألة طبيعية، لا تفرضها الأحوال الاجتماعية، من أجل الحفاظ على التوازن دون استثناء في الحقوق والواجبات، فالكرامة والمساواة قيمتان أخلاقيتان ومميزتان للاعتراف، إذ يعد الاعتراف بالقيم وتحقيقها في الحياة الاجتماعية من جانب، والاستقلالية الأخلاقية من جانب آخر عنصرين ضروريين، ومتكاملين لبناء الهوية الحديثة<sup>33</sup>. والحال أن الكرامة الإنسانية تعتبر سمة أساسية للعلاقات بين الأفراد وتندرج في الاعتراف المتبادل القائم فيما بينهم على المساواة، ولذلك نجد أن الذات الفردية لا تظهر من دون الوسيلة الاجتماعية، لكن تتحقق خارجياً، ولا يمكن أن تستقر إلا في إطار من شبكة علاقات الاعتراف الاجتماعية<sup>34</sup>. والتعدد الثقافي حسب تايلور: "نشأ نتيجة تحرر المجتمعات الحديثة من وطأة الدين والتقاليد القديمة، ويستدعي الأمر بالضرورة تجسيد مبدأ المساواة، حيث ينظر إلى المساواة الحديثة على أنها لا تتناقض مع قيام الجماعة التاريخية التي تؤثر فيها التقاليد تأثيراً شديداً، كما أنها لا تتطلب حياداً سياسياً محضاً يمنع الدولة من الاعتراف بالتنوع والفروقات القائمة. والاعتراف في نظره أيضاً ليس واجباً أو ديناً حتى نكون مدينين به لجماعة من الناس، بل هو حاجة إنسانية ملحة جداً"<sup>35</sup>.

ويحدد أكسل هونيث أيضاً أشكالاً للاعتراف المتمثلة في: "الحب والقانون والتضامن (تتجسد من خلالها التداوتية)، فهي أجهزة حماية تداوتية تضمن شروط الحرية الداخلية والخارجية، والتي بها يتعلق ودون إعاقة، التعبير عن غايات الوجود الفردية وتحققها، وباعتبارها ترسيمات سلوك عامة فقط وليست هيئات مؤسساتية قائمة، فإنها تقدم لنا عناصر بنيوية متميزة عن الكلية العينية لكل شكل من أشكال من أشكال الحياة الخاصة. إنها نماذج الاعتراف الثلاث التي تنطوي على قوة التطور المعياري القيمي والقانوني أيضاً تمنح سيرورة تحول نحو مزيد من العالمية والمساواة"<sup>36</sup>.

وفي مفهوم الإلزام الكانطي الذي يرى بأن التناهي الجغرافي لأرضنا يفرض على جميع الناس مبدأ الضيافة الكونية، والتضامن والاعتراف بحق الآخر وعدم معاملته كعدو، يخلص ادغار موران.

## 11. خاتمة:

قد يعتبر البعض أفكار إدغار موران رؤية فلسفية مثالية بل طوباوية بالنظر إلى تعارضها مع الاختلافات الإثنية العميقة بين الجماعات البشرية من حيث التنوع الثقافي والسياسي والانتماء إلى وعاءات حضارية ودينية متباينة، وما الصراع الحضاري وغير الحضاري بين الأمم والدول في وقتنا الحالي إلا دليل على الصراع الهوياتي، وبالتالي اختلاف وتعدد الهويات، وهو ما يتعارض مع المشروع الكوني الشامل لبناء الهوية الكوكبية كما أراد الفيلسوف. ومع ذلك من المهم التأكيد على أن الإنسان المتأمل في أعماق ذاته يمكن أن يكتشف جوهره الإنساني الذي يجمعه ببقية البشر، وليس فقط فرديته المميزة. هذا الجوهر الإنساني المشترك يشكل أساساً لقيم أخلاقية كونية ضمن هويته الفردية والجماعية. لذلك فإن مفهوم الإيتيقا المركبة يفيد الانفتاح على الآخر والتضامن معه والاعتراف بوجوده، لأن في نهاية الأمر ينبغي ألا يقف الإنسان عند هذا التركيب المميز للوجود الإنساني وذلك بأن يفتح على هذا الآخر فيفتح على ذاته وعلى العالم ويتبنى إيتيقا تفاهمية تسمح بالتصالح والتداوت في ظل التخاصم والتنافر. فالأمل كما يضيف ادغار موران في الاكتمال الإنساني بما هو وعي فردي يتجاوز النزعة الفردية نحو الكوني والمواطنة الكوكبية والتطلع الإرادي نحو الحضور في العالم والرهان على السلوك الإنساني الواعي حول ضرورة التواصل مع الآخر والعيش مع اللابدل. وبالتالي فإن الإيمان بالتطور ضمن الثالوث المركب الذي يتشكل من الفرد والمجتمع والنوع الإنساني هو الهدف الأسمى لتربية المستقبل.

كما يصل إدغار موران أيضاً إلى اعتبار البعد الثقافي من التحديات الأساسية بعد أن وقع تقسيمها واختزالها إلى جزئيات، فالثقافة الإنسانية هي ثقافة شاملة كونية جوهرها وصميمها هو الوعي العام الذي يواجه التساؤلات الإنسانية الكبرى ويحفز التفكير في الفكر وفي المعرفة الإنسانية، كما يحفز أيضاً العمل على احترام الغير في اختلافنا عنه وفي تطابقه معنا في الوقت ذاته. فعلياً أن نتعلم كيف نتعايش، ونتقاسم الأشياء بيننا وكيف نتواصل لتتوحد خلال التحضر والتضامن في الكوكب الأرضي، مع السعي نحو تجسيد أخلاق التضامن والتكافل والتعاون والتعاطف، لغرض ترسيخ المبادئ الإنسانية في سلوك البشرية ككل. وفي هذا تلعب التربية السليمة والديموقراطية والعمولة تعزيز التواصل والاندماج مع الآخر، حيث تعمل على تحقيق التقارب بيننا وبينه مع إمكانية وضع حد للصراع والنزاع وتعمل على تقوية

الروابط مع الآخر وذلك بهدف تحقيق ثقافة التعايش السلمي بين الدول والأمم والشعوب. وهو المشروع الذي أسس له إدغار موران حيث يشمل كل المعارف المتوفرة ويتطلب وضع أنماط جديدة من التفكير لبلوغ التكامل المعرفي وذلك في إطار الوحدة المتعددة والمتنوعة للهوية البشرية.

## 12. قائمة المراجع:

- <sup>1</sup>إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ترجمة أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009، ص 5-7.
- <sup>2</sup>ألكس ميكشيكلي، الهوية، ترجمة على وطفة، دار الوسميم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993. ص 18-20.
- <sup>3</sup>إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2009، ص 17.
- <sup>4</sup>إدغار موران، المصدر نفسه، 37.
- <sup>5</sup>عزيز مشواط، الشرط الإنساني رهان تربية المستقبل، رؤى تربية، العدد 29، ص 127.
- <sup>6</sup>إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرقي ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2002، ص 53-52.
- <sup>7</sup>عبد المقصود سالم، توظيف مفهوم تربية المستقبل عند إدغار موران في منهج التربية الإسلامية، مجلة التجديد، المجلد السادس، العدد 31، 2012، ص 63.
- <sup>8</sup>Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, seuil, unesco, 1999, p 16.
- <sup>9</sup>إدغار موران، المصدر نفسه، ص 76.
- <sup>10</sup>إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ص 107-108.
- <sup>11</sup>إدغار موران، جان بودريارد، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، الإذقية، 2005، ص 73.
- <sup>12</sup>زيفومون باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائنة، ترجمة سعد البازعيو بثينة إبراهيم، ط1، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2016، ص 293.
- <sup>13</sup>لوك فيري، تعلم الحياة، "سأروي تاريخ الفلسفة"، ترجمة سعيد الولي، أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ص 316.
- <sup>14</sup>جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، 2012، ص 105.
- <sup>15</sup>عبد الرزاق بالحاج مسعود، خرائط المعنى بعد انفجار التاريخ، مجلة الجديد، العدد 22، 2016، ص 14-15.
- <sup>16</sup>داود خليفة، مقال بعنوان: أخلاق التواصل عند إدغار موران، موقع كوة. كوم، ص5.
- <sup>17</sup>إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، 81.
- <sup>18</sup> Edgar morin, Leçons d'un siècle de vie, éditions Denoël, paris, 2021, p18.
- <sup>19</sup>إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، 69-70.
- <sup>20</sup>عفيف البهنسي، الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009، ص 92-93.
- <sup>21</sup>زهير مخلدي، مدينة الإسلام في مواجهة عولمة الإرهاب، إصدارات إي-كتب، لندن، ط1، 2016، ص 179.
- <sup>22</sup>إدغار موران، تعلم الحياة بيان لتغيير التربية، ترجمة الطاهر بن يحيى، منشورات صفاق، بيروت، 2016، ص 29.
- <sup>24</sup> Edgar morin, penser global, L'homme et son univers, édition Flammarion, Paris, 2021. p12.
- <sup>24</sup>إدغار موران، جان بودريارد، عنف العالم، ص 76.
- <sup>25</sup>إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ص 70.
- <sup>27</sup> Edgar morin, Tariq ramadan, Au péril des idées, les grandes questions de notre temps, éd, archipoche, rcelone, 2015 p1.
- <sup>27</sup>إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ص 101-103.
- <sup>28</sup>جوروم بندي، التزم إلى أين؟، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور، ص 83-84.
- <sup>29</sup>إدغار موران، ثقافة أوروبا وبريطانيا، ترجمة الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص 27-28.
- <sup>30</sup>إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ص 58.
- <sup>31</sup>إدغار موران، المنهج (الأخلاق)، ترجمة يوسف تيبس، ج6، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2021، ص 108.



<sup>32</sup>تيفيتان تودوروف، الحياة المشتركة، ترجمة مندر عياشي، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، ط1، 2009، ص21.

<sup>33</sup>جميلة حنيفي، بورغن هارماس من الحدائث إلى المعقولية التواصلية، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، (د.ط.)، 2016، ص242.

<sup>34</sup>علي عبود المحمداوي وآخرون، البيوتيقا والمهمة الفلسفية، أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2014، ص 247.

<sup>35</sup> Charles Taylor, Multiculturalism: Examining the Politics of Recognition, Princeton University Press, United States of America, 1992, p 25.

<sup>36</sup>أكسل هونيث، الصراع من أجل الاعتراف، القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، 2015، ص313.